الأميرة الشاعرة ولادة بنت المستكفي في مرايا النقد المُعاصر

–مُعالجـــة تحليليّة لكتاب: «ولادة بنت المستكفي: الأميرة الشاعرة وأثرها في شعر ابن زيدون»

The Princess Poet Walada Bint Al-Mustakfi in the Mirrors of Contemporary Criticism

An analytical treatment of the book: "The Birth of Bint Al-Mustakfi: The Princess - "Poet and Her Impact on Ibn Zaydun's Poetry

د.محمد سيف الإسلام بـــوفـــلاقـــــة

كلية الآداب واللُّغات، جامعة عنابة، الجزائر

تاريخ الارسال:2023/01/18	تاريخ القبول: 2023/06/01	تاريخ النشر2023/07/04

ملخص:

يهدف البحث إلى عرض مجموعة من الأفكار، والرؤى العلميّة التي قدمها الباحث الدكتور (سعد بوفلاقة) في مقاربته التحليليّة الدقيقة لشعر ولادة بنت المستكفي: الأميرة والشاعرة الأندلسية؛ والتي لم تحظ بالعناية الكافية من لدن مختلف الدارسين، والباحثين، ولعل أحداً لا يحتاج إلى كبير عناء لكي يدرك هذا الأمر؛ فالملاحظة التي يخرج بها كثير من المهتمين بقضايا الشعرية الأندلسية، هي أن شعر ولادة بنت المستكفي؛ قد لقي صدوداً ،وإعراضاً من قبل جملة من مؤرخي الأدب، والثقافة، ونقاد الأدب العربي، ولاسيما إبان العصر الحديث، و يبدو أن هذا الدافع، هو السبب الرئيس الذي جعل الباحث الجزائري، والأكاديمي(سعد بوفلاقة) إلى أن يُقدِّم على إنجاز دراسة متميّزة تعمّقت شعر ولادة بنت المستكفي، ويهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة وصفيّة، ومُعالجة تحليليّة لكتاب: «ولادة بنت المستكفي:الأميرة الشاعرة وأثرها في شعر ابن زيدون»، والصادر خلال سنة:2022م، عن منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات بالجزائر.

الكلمات المفتاحية: معالجة؛ كتاب؛ النقد؛ المعاصر؛ شعر.

Abstract:

The research aims to present a set of scientific ideas and visions presented by the researcher Dr. (Saad Bouflaga) in his accurate analytical approach to the poetry of the birth of Bint Al-Mustakfi: the Andalusian princess and poet; Which did not receive sufficient attention from various scholars and researchers, and perhaps no one needs much effort to realize this matter; The observation that many of those interested in issues of Andalusian poetry come out with is that the poetry of the birth of Bint Al-Mustakfi; It was met with resistance and rejection by a number of historians of literature and culture, and critics of Arabic literature, especially during the modern era. The poetry of the birth of Bint Al-Mustakfi. This research aims to provide a descriptive study and analytical treatment of the book: "The Birth of Bint Al-Mustakfi: The Princess Poet and Her Impact on Ibn Zaydun's Poetry", issued during the year: 2022 AD, on the publications of the Bouna Foundation for Research and Studies in Algeria.

Keywords: to treat; book; criticism; contemporary; Poetry.

مقدمة:

صدر كتاب:«ولادة بنت المستكفي:الأميرة الشاعرة وأثرها في شعر ابن زيدون»،من تأليف:الأستاذ الدكتور سعد بوفلاقة عن منشورات بونة للبحوث والدراسات سنة:2022م.

في مقدمة الكتاب تحدث المؤلف عن دوافع تأليفه لهذا السفر،حيث يقول في هذا الصدد: « لعل المتخصصين حين يذكرون الأندلسَ وأدَبَهُ أو شعرَهُ لا يتذكرون –شأنُهُم في ذلك شأنُ غيرهم– غير ابن زيدون وولادة ، وقد أضحى التنائي من تدانيهما بديلا ،وبالرغم من ذلك فإنّي وجدت شعر ولادة بنت المستكفي لم يحظ باهتمام الدارسين، ولم يدرس دراسة علمية وافية معمقة، كما حظي به شعر ابن زيدون ، ولم تفرد له دراسة مستقلة من قبل –فيما أعلم– وإن وردت إشارات إليه في بعض الكتب التي تناولت الشعر النسوي بعامة، ونظراً لسعة الفترة الزمنية التي كان الدارسون يتحركون فيها فقد أولوا اهتماماً بالجمع والتوثيق وابتعدوا عن البحث العلمي والتحليل إلا نادراً ،لكن بحثنا هذا يحاول أن يتجاوز تلك الدراسات فيدرس «شعر ولادة »دراسة مستقلة، ويتناول بالدرس عصرها، وحياتها ، وندوتها الأدبية وأخلاقها، وشعرها، وأثرها في ابن زيدون، مما سبق تتضح أهمية هذه الدراسة لكشف النقاب عن شعر ولادة ودراسته ، والكشف عن أثر هذه الغادة الأموية الحسناء في شعر ابن زيدون ونثره»(سعد بوفلاقة، 2022م، ص:09).

ولمعالجة هذه المواضيع المتنوعة، فقد قسم الباحث كتابه إلى خمسة فصول، وخاتمة، واعتمد على عدد غير قليل من المصادر والمراجع الثمينة التي تميزت بالتنوع، فهي متنوعة تنوع فصوله،وهي على ثلاثة أصناف :

1–كتب التاريخ القديمة والحديثة، و قد عاد إليها الباحث للإفادة من كل ما يتعلق بعصر الشاعرة.

2–كتب التراجم ، وقد استفاد منها فيما يتعلق بحياة الشاعرة وشعرها، كالذخيرة لابن بسام ، والصلة لابن بشكوال ، ونفح الطيب للمقّري، وغيرها.

3–كتب الدراسات الحديثة، وقد استفاد منها في جوانب مختلفة من البحث.

وبالنسبة إلى المنهج المعتمد في الدراسة،فقد وجد الباحث–كما يذكر في المقدمة–أن المنهج الذي يتلاءم مع طبيعة هذه الدراسة، هو المنهج التاريخي الذي يعتمد على الترتيب الزمني في تتبع الظواهر الأدبية، وتفسيرها، بيد أنه لم يكتف بهذا المنهج، وإنما استخدم مجموعة من مناهج البحث العلمي المختلفة كالمنهج الوصفي ، والمنهج النفسي، والمنهج النصاني، وغيرها.

مُعالجـــة تحليليّة لكتاب: «ولادة بنت المستكفي: الأميرة الشاعرة وأثرها في شعر ابن زيدون»:

1– عصر ولادة:القرن الخامس الهجري

في الفصل الأول من الكتاب حاول المؤلف أن يُقدم صورة سريعة عن عصر ولادة،وهو القرن الخامس الهجري «عصر ملوك الطوائف» من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية ، نظراً لعلاقته المتينة بالموضوع ،وتأثيره على الإبداع الشعري لولادة بنت المستكفي،ومن بين ما أشار إليه في هذا الفصل ،بالنسبة إلى الحياة السياسية أن هذا العصر اتسم بأن الضعف بدأ يدب في جسم الدولة الأموية بعد موت أبي عامر محمد المعافري

الملقب بالحاجب المنصور سنة(392هـ-1002م) ، وتقلد الملك من بعده ابنه : عبد الملك (المظفر) (392-399 هـ/ 1002-1008م)، وعبد الرحمن (المأمون) 399 هـ،1009م) وكان كل من هؤلاء يلقب بالحاجب بينما كان الخليفة هشام الثاني (المؤيد) (366-399هـ /976م،1009م) في أيديهم دمية لا حول لها ولا طول ، واشتعلت الفتنة بعد عبد الرحمن، وغرقت قرطبة في أنهار من الدماء وظلت في بلبلة واضطراب إلى أن غادرها هشام الثالث(المعتمد بالله) سنة: (422 هـ، 1031م) فكان آخر خليفة أموي في قرطبة، وبخلعه انقطعت الدولة الأموية،وانقسمت بعد ذلك الخلافة إلى دويلات متعددة، سمي القائمون عليها بملوك الطوائف ومن أهم هذه الدويلات:

الدولة الهودية: في سرقسطة (saragosse) من سنة 410 هـ/ 1019 م إلى سنة 536 هـ/1141م، وهي دولة عربية ، ومن أشهر ملوكها : المقتدر بالله وكان شاعرا، وابنه المؤتمن وكان عالما بالرياضيات.

والدولة الزيرية: في غرناطة أسسها بنو زيري الصنهاجيون سنة 403 هـ، وهم فرع من بني زيري حكام الدولة الزيرية في إفريقية على عهد الفاطميين ، ظل ملكهم إلى سنة 483 هـ/1090م.

الدولة الحمودية: أسسها بنو حمود الأدارسة الحسنيون العلويون سنة 407هـ/1016 م ((وهي دولة شيعية من المغرب تنتسب إلى إدريس من سلالة الحسن بن علي، تنقلت بين قرطبة ومالقة والجزيرة الخضراء، وانقرضت سنة 450هـ/1058 م)).

والدولة العامرية: استقلت في بلنسية (valance)سنة412هـ/1021م، وهي دولة عامرية دام ملكها إلى سنة 478هـ/1035م.

ودولة بني الأفطس: في بطليوس (badajoz)، وهي بربرية من بربر مكناسة حكمت من سنة 413هـ/1022م إلى سنة 487 هـ/1094م ((وكانت دولة متحضرة نهضت بالعلوم والفنون)) ، وممن نبغ من بني الأفطس المظفر صاحب كتاب التاريخ المسمى (بالمظفري وكان المتوكل ابنه أديبا كالمعتمد بن عباد في إشبيلية يقرب الأدباء، والعلماء، وقتل المتوكل على يد جيش يوسف بن تاشفين، ومن قبله قتلوا ولديه وهو ينظر إليهما)) ،وفي رثاء ملوك بني الأفطس قال ابن عبدون رائيته المشهورة والتي مطلعها:

الدّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالأثَرِ فَمَا البُكاءُ على الأشْباحِ

لدى حديث المؤلف عن الحياة الاجتماعية والثقافية يُنبه إلى أن الانحلال السياسي في القرن الخامس لم يُصاحبه انحلال فكري أو اجتماعي ، فقد صاحبه على العكس من ذلك ازدهار فكري، وتطور اجتماعي، نضج إثره المجتمع الأندلسي، واكتسب صفاته المميزة، وشخصيته الخاصة، حيث كان الشعب الأندلسي ينعم بثراء وفير، وهذا الترف في العيش صرفهم عن العمل الشاق المضني ووفر لهم الوقت لعدم الطاعة والخبث ، وكان الأمراء يتنافسون فيما بينهم في بناء القصور واتخاذ الأبهة، وانتحال ضروب التفخيم وكانت في المدن الكبيرة،أسواق النخاسة تباع فيها الجواري والغلمان، وتمتعت المرأة الأندلسية بحرية لم تعرفها بغداد في أوج ازدهارها ، وكان القرن الخامس، قرن ازدهار للعلوم والفنون، والآداب في الأندلس، إذ يكاد يكون هذا القرن العصر الذهبي لجميع مظاهر الفكر ، فكثرت المدارس في قرطبة، وكان العلم في جميعها مجانا،

أما الأدب في هذا العصر فقد شهد تطورا واسعا في نواح مختلفة، وذلك يرجع إلى تشجيع الأمراء للحركة الأدبية ورعايتهم لأصحابها، فلقد تعددت مراكز الثقافة بتعدد عواصم ملوك الطوائف، وكان القرن الخامس

حافلا بالشعراء، ففي رواية للقزويني أن أهل الأندلس أصبحوا جميعهم شعراء ((فأي فلاح يحرث بأثوار في شلب، يرتجل ما شئت من الأشعار فيما شئت من المعاني))، وفي هذا القرن ظهر أشهر شعراء الأندلس كابن زيدون (394–463هـ) وابن عمار (422–477هـ) ، والمعتمد بن عباد(421–488هـ) وابن خفاجة(461–533هـ) وابن حمديس (447–527 هـ) و غيرهم.في ظل ذلك امتاز القرن الخامس باشتراك المرأة في الحياة الاجتماعية، وشيوع الشعر النسوي الذي تمثل في وفرة عدد الشواعر وجودة أشعارهن، فكانت شاعرات مُجيدات كولادة بنت المستكفي،ومهجة بنت التياني القرطبية، ونزهون الغرناطية، وحمدونة بنت زياد المؤدب، وغيرهن.

وقد برع الشعراء في مجال رثاء الممالك الزائلة، وفاقوا المشارقة، لقد حز في نفوسهم أن يروا فجأة وطنهم الذي طالما تغنوا بجماله وحبه يسقط بلدا إثر بلد في أيدي النصارى، فأحرق ذلك أكبادهم، وفتت قلوبهم ، ففاضت بكاء ولوعة على مجد ضائع...فبكى ابن اللبانة (ت 507 هـ/1113م) دولة بني عباد، وابن عبدون (ت520 هـ) دولة بني الأفطس، ورثى المعتمد بن عباد دولته، وكان شعرهم صادقا يطفح بالأسى.

2– حياتها وندوتها الأدبية:

في الفصل الثاني من الكتاب، تحدث المؤلف عن حياة ولادة بنت المستكفي وندوتها الأدبية ،ومن أبرز ما ذكره المؤلف بالنسبة إلى حياتها قوله:«هي أديبة،شاعرة، ظريفة،أميرة، من البيت الأموي بالغرب الإسلامي،وتتصل سلسلة أجدادها بعبد الرحمن الداخل ،من بني عبد المالك بن مروان ،وهي ابنة الخليفة محمد بن عبد الرحمن الناصري ،الملقب بالمستكفي وقد تولى الخلافة سنة:414هـ«وكانت دولته سبعة عشر شهراً صعابا نكدات، سودا مشوهات أرسله الله تعالى على أهل قرطبة محنة وبلية، إذ كان منذ عرف غفلا عطلا منقطعا إلى البطالة ،مجبولا على الجهالة ،عاطلا من كل خلة تدل على فضيلة....».

ويتفق ابن عذاري مع ابن بسام في وصف المستكفي خلقيا،ويضيف في وصفه الخارجي فيقول هو: «ربعة ،أشقر،أشم، مدور الوجه واللحية، ضخم الوجه والجسم، كبير البطن، صاحب أكل وشرب وجماع وتخلف ،وكان تزوج من أمة مسيحية حبشية خبيثة،هي بنت سكرى المورورية ،وكانت شريرة استبدت بالمستكفي،ولعلها أم ولادة فنشأت على سنة أمها في سهولة الحجاب،وورثت عنها بشرتها البيضاء وشعرها الأصهب ،وعينيها الزرقاوين وجمال قوامها، ولم تدم سلطة أبيها في الحكم،فبعد سبعة عشر شهراً من ولايته، ثار عليه أهل قرطبة ،ففر مستخفيا بين امرأتين إلى مدينة أفليج مع بعض رجاله، فاتهموه بمال فاغتالوه وقتلوه،ولما خلع المستكفي ثم قتل سنة (416هـ)كانت ولادة في شرخ شبابها،وذروة شهرتها ،وقد شهدت مصرع آبائها ،وانهيار دولتهم .وتربع أمراء الطوائف على أرائكهم ،وقد بخلت علينا المصادر التي أرخت لحياتها بذكر السنة التي ولدت فيها شاعرتنا ،وذكرت السنة التي توفيت فيها ،وقد اتفق كل من ابن بشكوال في الصلة والضبي في بغية الملتمس ،على أنها توفيت ،يوم الأربعاء،لليلتين خلتا من صفر سنة484هـ .وقد قاربت المائة ،فيكون مولدها قريبا من سنة386هـ».(سعد بوفلاقة، 2022م، ص:27 وما بعدها).

كما يذكر المؤلف بالنسبة إلى ندوتها الأدبية أنها تحررت من الأصفاد الاجتماعية بعد موت أبيها، فسفرت عن وجهها ،وفتحت أبواب قصرها للأدباء والشعراء ورجال الفكر فصار(صالونا)أدبيا يتهافت عليه الشعراء والكتاب، فكان«مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر، وفناؤها ملعبا لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها ،ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها ،وكثرة منتابها ،تخلط ذلك بعلو نصاب،وكرم أنساب ،وطهارة أثواب» . وهكذا كان منتدى ولادة ،تجمع فيه بين الجمال، والأدب والذوق،وأنيق

الشعر ،ورفيع الغناء،وحسن المعشر ،ورواء الحديث،وحلاوة الرد، وحرارة النكتة، حتى صح أن تعد من كبيرات ربات المجالس الأدبية ، أو «الصالونات»في الأدب العربي ،بل في الأدب العالمي،فسبقت به أديبات فرنسا بعدة قرون ،فولادة فتحت صالونها الأدبي في قرطبة في القرن الحادي عشر الميلادي،بينما عرفت فرنسا هذه الصالونات لأول مرة في القرن السابع عشر، وكثرت في القرن الثامن عشر.وكان صالون «أوتيل دي رامبوييه»أقدم صالون أدبي عرفته فرنسا وأوربا بأكملها،ومهما يكن من أمر فقد استطاعت ولادة أن تفتن شعراء عصرها بجمالها وسحرها وذكائها وحلاوة عشرتها ،فاجتمع في ندوتها من معاصريها شعراء وأدباء ووزراء من الرجال والنساء، وكانت تستقبل الجميع ببشاشة ولطف ،فيعجب بها الرواد ،ويتمنى كل واحد منهم أن تكون له وحده ،وقد أشارت إلى ذلك حين قالت:

1 إنّي و إنْ نَظَرَ الأنامُ لِبَهْجَتِي كَظباءِ مكّةَ صَيْدُهُنَ حرَامُ

2 يُحْسبْنَ مِنْ لَيْنِ الكلامِ فَوَاحشًا ويَصُدُّهُن عَنِ الخَنَا الإسْلام»

3- صفاتها وأخلاقها:

خصص المؤلف الفصل الثالث من الكتاب للحديث عن صفاتها وأخلاقها، وعلاقتها بمهجة بنت التياني القرطبية، وقد أشار المؤلف في هذا الفصل إلى تضارب وتباين الأخبار التي تحدثت عن صفاتها وأخلاقها،فالمصادر القديمة حافلة بوصف جمالها وعفافها، وأقرب مصدرين إلى عصر ولادة بعد جذوة المقتبس هما كتاب الذخيرة لابن بسام، وكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان ،فصاحب الذخيرة الذي بدأ صاحبه بتحريره وهو بقرطبة سنة:493هـ ، وانتهى منه في حدود سنة :503هـ ،يقول في كلامه عن ولادة: « ...وكانت في نساء أهل زمانها، واحدة أقرانها ،حضور شاهد، وحضور أوابد ، وحسن مظهر ومخبر وحلاوة مورد ومصدر...يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرتها، ويتهالك الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها ، إلى سهولة حجابها ، وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب ، وطهارة أثواب على أنها-سمح الله لها ، وتغمد زللها-أطرحت التحصيل ، وأوجدت إلى القول فيها السبيل بقلة مبالاتها، ومجاهرتها بلذاتها» .ونلاحظ تناقضا واضحا عند ابن بسام حين يقول«:إنها كانت تتمتع بطهارة أثواب»، ثم يشير بعد ذلك إلى تبذلها واستهتارها بقوله: «إنها أطرحت التحصيل ، وأوجدت إلى القول فيها السبيل ، بقلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها»،وتحرر ولادة واقع قد أكده أبو عبد الله بن مكي شيخ ابن بشكوال، فيما بعد حين قال: «لم يكن لها تصاون يطابق شرفها،» وهو حكم أخلاقي يرجع إلى التقييم العام المتناقل بين الناس .

ويرى المؤلف أن ما نجده من لطف عند بعض المؤرخين في وصف ولادة(بطهارة الأثواب)كما عند ابن بسام- يعود إلى طيبتهم وأخلاقهم وطهارة أقلامهم، وإلا كيف نفسر تعفف ابن بسام عن ذكر شعرها لأن أكثره هجاء ، والحقيقة أن ولادة لم تكن متصاونة ولا متعففة بل كانت مستهترة ومتحررة إلى أقصى الحدود، ولذلك فهي لم تتزوج لأن الزواج يكون على حساب حريتها ، ولم تعر اهتماما لعشاقها كابن زيدون وابن عبدوس ولم تكن تلتزم التقية

في اقتراف الملذات ،فكانت تجاهر بلذاتها، وتتقاد وراء نزواتها، غير مبالية لما يخدش شرفها وكرامتها، فمن جملة أخبارها أنها كتبت بالذهب على عاتقها الأيمن:

أنَا واللَّهِ أصْلُحُ للمعالِي وأمشي مِشْيَتِي وأتيهُ تِيهَا

وكتبت على العاتق الأيسر:

وأُمكِنُ عَاشِقِي مِنْ صَحْنِ خَدّي وأعطي قبلتي من يشتهيها

فبالرغم من هذه الإباحية المتناهية إلا أننا نجد بعض المؤرخين يصفونها بالصيانة والعفاف ففي تمام المتون يقول الصفدي عن ولادة: «وكانت مشهورة بالصيانة والعفاف» ، ثم يورد البيتين السابقين مباشرة وكأنه يستشهد بهما على صيانتها وعفافها؟؟؟ أما المقري في النفح فيعلق على البيتين بقوله: « وكانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعفاف» ، ويخلص المؤلف في الختام إلى أن المؤرخين الذين نقلوا عن المصادر القريبة من عصور ولادة كالذخيرة والقلائد والصلة يكررون ما قاله ابن بسام عن ولادة، حين وصفها(بطهارة الأثواب) دون أن يتفطنوا إلى التناقض الموجود في كلامه عنها،وهكذا كان المؤرخون ينقلون دون تمحيص أو تدقيق، فولادة ثارت على التقاليد والعادات الاجتماعية ، وأرادت أن تبقى لها حريتها، تتصرف بها بقطع النظر عن المجتمع وما يفرضه عليها من قيود كأنثى.

4- شعرها وأثرها في شعر ابن زيدون:

في الفصلين الأخيرين تحدث المؤلف عن شعرها وخصائصه الفنية،وأثرها في شعر ابن زيدون،ففي الفصل الرابع قدم مجموعة من الرؤى عن شعرها وخصائصه الفنية،والأغراض التي طرقتها،حيث يستشهد المؤلف في البدء بما ذكره الضبي،فهي «أديبة شاعرة جزلة القول، مطبوعة الشعر وكانت تخالط الشعراء وتجالس الأدباء ،وتفوق البرعاء» ،والكلام نفسه نلفيه عند ابن بشكوال،ويقول ابن نباتة : «وكانت تجلس للشعراء والكتاب وتعاشرهم وتحاضرهم ، وكانت ذات نظم جيد...» .

بالنسبة إلى شعرها الذي توفر عند الدارسين فهو ينقسم إلى قسمين:شعرها الغزلي وهو جميل الصياغة،عذب الألفاظ، سلس الأسلوب، حسن الذيباجة ، أما شعرها الهجائي فسقيم لأنه عبارة عن فحش وقبح وهو أقرب إلى كلام السوقة من الناس منه إلى الشعر ،وقد ختم المؤلف حديثه عن هجائها بتقديم خلاصة جاء فيها: «إن هذه البذاءات الفاحشة،وهذا الإسفاف في شعرها الهجائي الذي ربما يقبله عصرها، ليجعلنا نقر بأن ولادة امرأة جاوزت الحد في استعمال الشعر و تسخيره لهواها، ويبدو أن كثيراً من أخبارها ومغامراتها ونزواتها و شذوذها كان أمرا واقعا، ونستطيع القول بأنها أهجى شواعر الأندلس على الإطلاق ، إذا لم نقل أهجى شعراء الأندلس ولا سيما وهي امرأة وأميرة، وينتظر من المرأة الحشمة والحياء، وكذلك فمعظم هجائها قالته في حبيبها الذي سجن وشرد من أجلها، وقال فيها أعذب شعره الغزلي.

وإذن لا نستغربنّ ما قاله العمري عنها: « وكانت ولادة ذات بوادر يشيب لها رأس الوليد » ،وأن شعرها الذي وصلنا أقل بكثير من شهرتها التي شرقت وغربت ، حتى أصبحت قصتها مع ابن زيدون أسطورة من الأساطير يرويها الناس و يتناقلها الباحثون والدارسون ، وحتى لا نظلم ولادة يجب أن نشير إلى أن بعض أشعارها في الغزل جيدة تصافح الآذان في متعة وارتياح ولا تنقص شاعريتها عن كثير من فحول الشعراء الذين اشتهروا في الغرب الإسلامي ،وكانت ندوتها الأدبية بقرطبة مدرسة للنقد ، وجامعة للأدب يغشاها الأساتذة والأدباء ، وكبار القوم ،

وهي تعطينا صورة واضحة عن حرية المرأة في الأندلس، وثقافتها، وفكرها، وأدبها».(سعد بوفلاقة، 2022م، ص:51).

وقد تحدث المؤلف باستفاضة عن علاقتها بابن زيدون،وأسباب خلافهما، فقد كانت لقاءات ولادة مع ابن زيدون كثيرة في أحضان الطبيعة الجميلة حيث«كانت حدائق قرطبة وبساتينها مرتعا لحبهما، وفي خمائلها أخذا يتساقيان كؤوس الهوى ويعبان من شذى النعيم تغمرهما ظلال الحب» .وكان صالون ولادة مجلس أدب يستمع فيه العاشقان لقراءة الشعر، وعزف الموسيقى ، وغناء القيان، وكانت ولادة نفسها لها صنعة في الغناء ،ومن بين أسباب الخلاف بينهما:

1-انضمام ابن زيدون لحركة الجهاورة ،مما ترك في نفس ولادة أثراً سيئا، ولاسيما وهي بنت خليفة أموي ، وإن كان هناك من يخالف هذا الرأي، حيث إن ابن زيدون اتهم بالتحزب السياسي للأمويين، وبالعمل على إعادة المملكة إلى أربابها وبسبب هذه الوشاية أدخل السجن ،ويبدو أن اتهام ابن زيدون بالتحزب السياسي للأمويين كان اتهاما باطلا، دبره له منافسه ابن عبدوس في حب ولادة لكي يبعده عنها، ولم يكن ابن زيدون متحزبا للأمويين وإنما كان منضما لحركة الجهاورة كما ذكر الدكتور جودت الركابي.

2- تأثر ولادة الكبير عندما انتقد ابن زيدون شعرها.

3-تشهيره بها ولا سيما في رسالته الهزلية التي صورها فيها بصورة البغي الهلوك، وقد وضع في الرسالة على لسانها من فحش القول، ونابي اللفظ، ومقذع الهجو ما جعلها تنفر منه، وقد شهر بها في أشعاره، وكذلك في قصيدته لابن القلاس التي يعاتبه فيها ويحذره،منها.

ومن أسباب الجفاء أيضا الوشاة الذين لعبوا دورا كبيرا في الدس والسعاية، وإذكاء حفيظة ولادة عليه.

ومن بين القضايا التي توقف معها المؤلف بالتحليل والنقاش في الفصل الأخير من الكتاب،حديثه عن أثرها في شعره(أثرها في غزله،و أثرها في شكواه وعتابه،و أثرها في مدحه ،وأثرها في وصف الطبيعة عنده)،إضافة إلى أثرها في نثره من خلال الرسالة الهزلية،والجدية ومجموعة من الرسائل الأخرى.

ومن أبرز الملاحظات التي سجلها المؤلف في خاتمة كتابه، أن ولادة لم تنظم في جميع الأغراض الشعرية المعروفة،فلم يصلنا شعر منها في الزهد أو الفلسفة أو الحماسة، وكذلك الرثاء، مع أنَّ الرثاء يعد من أهم الأغراض الشعرية التي نظمت فيها المرأة المشرقية الشاعرة، وهو أقرب إلى نفسية المرأة التي تعد أرهف إحساسا وأقوى عاطفة من الرجل.

كما لاحظ المؤلف أن شعر الغزل كان أكثر الأغراض الشعرية تداولا عند ولادة، قالته في ابن زيدون وهي راضية عنه، وهو في جملته، جميل الصياغة،و عذب الألفاظ،وسلس الأسلوب،و حسن الديباجة،كما أن الأغراض (على قلتها)في شعر ولادة لم تكن متداخلة مثلما هو معروف عند الشعراء، كاختلاط المديح بالغزل، أو الفخر بالهجاء ، وهكذا .. ولعل ذلك يعود إلى أن شعر ولادة كله مقطعات وأبيات، ولم يعرف عنها ولو قصيدة واحدة، ولذلك كانت تدخل في الموضوع مباشرة، والمرأة معروفة بقصر نفسها منذ القديم،وقد كانت ولادة ناقدة مجيدة،فقد نقدت ابن زيدون في قصيدته التي نظمها في ابن القلاس، وأجادت في نقدها أيما إجادة.

خاتمة:

إن هذا الكتاب يمكن أن ندرجه ضمن واحد من أهم الدراسات النقدية التي سلطت الضوء على شعر ولادة بنت المستكفي وأثرها في شعر ابن زيدون؛ فقد تأمل الباحث سعد بوفلاقة في القسم الأول منه في قضايا مهمة تتصل بالخصائص الفنية لشعر ولادة بنت المستكفي، وعالجها مُعاجلة عميقة، كما أحاط بها إحاطة دقيقة، كما تطرق إلى كثير من القضايا التي تتعلق بحياتها وندوتها الأدبية، وكشف العديد من الحقائق التي تتصل بهذا الشأن.

وفي الشق الثاني من الكتاب يثبت المؤلف جدارته في تحليل النصوص الشعرية بطرائق متنوعة؛ وكذلك في كشف النقاب عن مدى تأثيرها في شعر ابن زيدون، والجدير بالذكر أن الباحث، يُتبع تحليلاته بتعليقات وافية، وملاحظات عميقة، وكثيراً ما يتوسع في شرح قضايا أدبية أندلسية تستحق المراجعة والمدارسة والتحليل، كما أنه يذكر المصادر والمراجع عقب كل بحث بدقة وتفصيل، وهو ما جعل الكتاب ذا قيمة علمية وأكاديمية، فهو صالح سواء لعامة القراء، وكذلك للباحثين المتخصصين .

المصادر:

سعد بوفلاقة:ولادة بنت المستكفي الأميرة الشاعرة وأثرها في شعر ابن زيدون،منشورات بونة للبحوث والدراسات،عنابة،الجزائر،2022 م.

غزيوي ع. (1987). أدب السياسة والحرب في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الرابع،. الرباط، المغرب الأقصى: منشورات مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،الرباط،المغرب الأقصى،1987م.

قيصر م. (1992). حول الأدب الأندلسي. بيروت، لبنان: منشورات مؤسسة الأشرف للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،لبنان،(د.ت. (

عيسى(فوزي سعد ع. س. (2000). دراسات في أدب المغرب والأندلس. القاهرة، مصر: منشورات دار المعرفة الجامعية،القاهرة،مصر،2000م.

غومس غ. (1956). الشعر الأندلسي:بحث في تطوره وخصائصه. القاهرة، مصر: دار المعارف.

مؤنس(حسين): م. (1985). فجر الأندلس. الرياض، الشعودية: منشورات الدار السعودية للنشر والتوزيع،ط:3،1405هـ-1985م.

كنون ع. ا. (1961). النبوغ المغربي. بيروت، لبنان: مكتبة المدرسة،ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ،بيروت،1961م.

قجة(محمد حسن ق. ح. (1985). محطات أندلسية. الرياض، المملكة العربية السعودية: الدار السعودية للنشر والتوزيع،ط: 01 ،1405هـ/1985م.

بوفلاقة س. (2022). ولادة بنت المستكفي الأميرة الشاعرة وأثرها في شعر ابن زيدون. عنابة، الجزائر: منشورات بونة للبحوث والدراسات،عنابة،الجزائر،2022 م.